@ 138 @ التركيب ، واقعة مواقعها ، فالمعنى : أنهم أمروا أن يدخلوا في الإسلام ، ثم أخبروا أن من زلّ جازاه ا العزيز الذي لا يغالب ، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها ، ثم قيل : لا ينتظرون في إيمانهم إلاّ َ ظهور آيات بينات ، عناداً منهم ، فقد أتتهم الآيات ، ثم سلّ َى نبيه صلى ا عليه وسلم ) في استبطاء إيمانهم مع ما أتى به لهم من الآيات ، بقوله : { سَلْ بَنِى إِسْراءيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مّنْ آيَةٍ بَيّنَةٍ } فما آمنوا بها بل بدلوا وغيروا ، ثم توعد من بدل نعمة ا بالعقاب الشديد ، فأنت ترى هذه المعاني متناسقة مرتبة الترتيب المعجز ، باللفظ البليغ الموجز ، فدعوى التقديم والتأخير المختص بضرورة الآشعار ، وبنظم ذوي الانحصار ، منزه عنها كلام الواحد القهار . .

{ زُيّنَ لِلّ َذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَواةُ الدّ ُنْيَا } نزلت في أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما بسط ا لهم ، ويكذبون بالمعاد ، ويسخرون من المؤمنين الفقراء ، كعمار ، وصهيب ، وأبي عبيدة ، وسالم ، وعامر بن فهيرة ، وخباب ، وبلال ، ويقولون : لو كان نبينا لتبعه أشرافنا ، قاله ابن عباس ، في رواية الكلبي عن أبي صالح عنه . .

وقال مقاتل : في عبد ا بن أبي ، وأصحابه ، كانوا يتنعمون ويسخرون من ضعفاء المؤمنين ، ويقولون : أنظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم . .

وقال عطاء : في علماء اليهود من بني قريظة ، والنضير ، وقينقاع ، سخروا من فقراء المهاجرين ، فوعدهم ا أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال ، أسهل شيء وأيسره . .

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن بني اسرائيل أتتهم آيات واضحة من ا تعالى ، وأنهم بدلوا ، أخبر أن سبب ذلك التبديل هو الركون إلى الدنيا ، والاستبشار بها ، وتزيينها لهم ، واستقامتهم للمؤمنين ، فلبني اسرائيل من هذه الآية أكبر حظ لأنهم كانوا يشترون بآيات ا ثمناً قليلاً ، ويكذبون على كتاب ا ، فيكتبون ما شاؤا لينالوا حظاً خسيساً من حظوظ الدنيا ، ويقولون : هذا من عند ا . .

وقراءة الجمهور : زين ، على بناء الفعل للمفعول ، ولا يحتاج إلى إثبات علامة تأنيث للفصل ، ولكون المؤنث غير حقيقي التأنيث ، وقرأ ابن أبي عبلة : زينت ، بالتاء وتوجيهها ظاهر ، لأن المسند إليه الفعل مؤنث ، وحذف الفاعل لفهم المعنى ، وهو : ا تعالى ، يؤيد ذلك قراءة مجاهد ، وحميد بن قيس ، وأبي حيوة : زين ، على البناء للفاعل ، وفاعله ضمير يعود على ا تعالى ، إذ قبله : { فَإِنّ َ اللّ َهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } . .

وتزيينه تعالى إياها لهم بما وضع في طباعهم من المحبة لها ، فيصير في نفوسهم ميل ورغبة فيها ، أو بالشهوات التي خلقها فيهم ، وإليه أشار بقوله : { زُيّنَ لِلنّاسِ حُبّ الشّهَواتِ } الآية ، وإنما أحكمه من مصنوعاته وأتقنه وحسنه ، فأعجبهم بهجتها ، واستمالت قلوبهم فمالوا إليها كلية ، وأعطوها من الرغبة فوق ما تستحقه . .

وقال أبو بكر الصدّيق ، رضي ا عنه ، حين قدم عليه بالمال ، قال : اللهم إنا لا نستطيع إلى أن نفرح بما زينت لنا . .

قال الزمخشري : ويحتمل أن يكون ا قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها ، أو جعل إمهال المزين تزييناً ، ويدل عليه قراءة من قرأ : { زُيّنَ لِلّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَواةُ الدّنْيَا } على البناء للفاعل . إنتهى كلامه . وهو جار على مذهب المعتزلة بأن ا تعالى لا يخلق الشر ، وإنما ذلك من خلق العبد ، فلذلك تأول التزيين على الخذلان ، أو على الإمهال ، وقيل : الزين الشيطان ، وتزيينه بتحسين ما قبح شرعاً ، وتقبيح ما حسن شرعاً . والفرق بين التزيينين : أن تزيين ا بما ركبه ووضعه في الجبلة ، وتزيين الشيطان بإذ كار ما وقع غفاله ، وتحسينه بوساوسه إياها لهم ، وقيل : المزين ، نفوسهم كقوله : { إِنّ النّفْسَ لامّارَةٌ بِالسّوء } { فَطَوّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ } { وَكَذالِكَ سَوّلَتْ لِى نَفْسِى } وقيل : شركاؤهم من الجن والإنس ، قال تعالى { وَكَذالِكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مّنَ الْمُشْرِكِينَ } الآية وقال : { شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ } . .

وقيل : المزين هذه الحياة الدنيا قال : { اعْلَمُواْ أَنّمَا الْحَيَواةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } . وقيل : المزين المجموع وفي هذا الكلام تعريف المؤمنين بسخافة عقول الكفار حيث آثروا الفاني على الباقي . .

{ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الّذِينَ ءامَنُواْ } الضمير عائد على الذين كفروا ، وتقدّم من هم ، وكلك تقدّم القول في : الذين آمنوا ، في سبب النزول ، ومعنى : يسخرون : يستهزئون